

فن الفانتازيا مكونا للسياحة الثقافية

دراسة أنثروبولوجية

fantasy Art as a component of cultural tourism
Anthropological studyمداني كلتومة أمينة¹

جامعة محمد بن أحمد وهران 2

madani.amina@univ-oran2.dz

بومحراث بلخير

جامعة محمد بن أحمد وهران 2

belkheirsocio@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2020/07/11 القبول: 2021/04/06 النشر علي الخط: 2021/06/15

Received: 11/07/2020 Accepted : 06/04/2021 Published online : 15/06/2021

ملخص:

تطرقنا في هذه الدراسة؛ إلى وصف وتحليل موضوع السياحة الثقافية وفق مقاربة أنثروبولوجية، فالدافع الأساسي لهذه السياحة هو الثقافة وهذه الأخيرة تعدّ عنصرًا مهمًا متمثلًا في المعالم الثقافية التي تعمل على تحفيز السياحة مما يخلق التميز في سوق عالمي مزدحم. وفي الوقت نفسه، تهتم بالاكشاف والمغامرة وهذا ما يدخل في سياق الثقافة وتعزيزها وخلق الدخل الذي يمكن أن يدعم التراث الثقافي والإنتاج الثقافي والإبداع. وضمن هذا المسار أخذنا الفانتازيا كنموذج تراثي وثقافي والذي من خلاله تقام به المهرجانات الوطنية والدولية وطقوس الوعدة. ووجدنا أنّ تفعيل هذا الموروث له أهمية في التنمية المستدامة وفي ازدهار السياحة الثقافية ومن ناحية أخرى نقل عروض الفروسية التقليدية بشكل فعال إلى مشاهد سياحية تنظمها الدولة للسياح المحليين والأجانب وبذلك تصبح مورد اقتصادي بديل.

الكلمات المفتاحية: السياحة الثقافية، الفانتازيا، التنمية المستدامة

Abstract:

In this study we discussed the topic of cultural tourism according to an anthropological approach. The basic motive for this tourism is culture this latter one which is represented by the cultural monuments is considered as the main item to stimulate culture and this will create distinction in the crowded global market. at the same time tourism is interested in discovery and adventure and this goes with culture context, its reinforcement and so far the creation of an income that supports cultural heritage, culturel production and creativity, in this path we took fantasy as a cultural and heritage paradigm which takes place in national and international festivals and Ouaadah rituals. We found that activating this heritage has a great importance on sustainable development and the prosperity of cultural tourism, On the other side transferring effectively the traditional fantasy performances into touristic scenes organized by the state for local and foreign tourists will an alternative economic resource.

Key words: (cultural tourism, fantasy, sustainable development)

مقدمة:

¹ - المؤلف المرسل: مداني كلتومة أمينة البريد الإلكتروني: madani.amina@univ-oran2.dz

تعتبر السياحة الثقافية مقوما سياحيا غير متكرر وغير متشابه به، كون ثقافة البلدان مختلفة باختلاف نمط حياة الأفراد حسب المناطق الجغرافية، وتاريخهم وفنهم، والهندسة المعمارية، والأديان، وغيرها من العناصر التي تساهم في تشكيل أسلوب حياتهم، ومعلوم أنّ السياحة الثقافية تعتمد على مكونات التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، وتعد الجزائر واحدة من البلدان الغنية بموروثها الثقافي فهي متحف للتراث، وهذا الأخير يستوجب استثماره بطريقة مثلى، علما أن "السياحة الآن وفي معظم دول العالم صارت تتجه أكثر فأكثر إلى الخصوصية الثقافية، ومن هذا المنطلق تبنت العديد من الحكومات في جميع أنحاء العالم السياحة الثقافية كأحد أهم عناصر السياسات العالمية، وصارت تمثل حوالي 37 بالمائة من إجمال سوق السياحة الدولية أي ما يوازي ثلث إجمال النشاط السياحي العالمي علما أنّ هذه السياحة تنمو بمعدل 15% عبر دول العالم"¹. ويعتبر فن "الفانتازيا" جزءا من هذا التراث الجزائري الثقافي اللامادي وهذا الأخير يكمن في الممارسات؛ والتصورات؛ وأشكال التعبير؛ التي يعتبرها الفرسان جزءا من تراثهم الثقافي، المتوارث جيلا عن جيل، وتبدعه من جديد بصورة مستمرة، بما يتفق مع بيئتهم وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديهم الإحساس بهويتهم والشعور باستمراريته، ففنون الدفاع عن النفس على ظهر الخيل تعود إلى الحياة بعد قرون طويلة في شمال أفريقيا، حيث صار الفرسان يعتمدون على ممارستها في بلدان المغرب العربي في طقوس الوعدة² والمهرجانات ومختلف الاحتفالات، لاسترجاع الذاكرة الجماعية التي تعود لمقاومة القبائل الجزائرية للغزاة أيام الاستعمار، ولزمن معارك التحرير التي خاضوها لاسترجاع المناطق الجزائرية قبل حرب التحرير³. ومن هنا نتساءل حول إمكانية استغلال الفانتازيا في الجزائر كسياحة ثقافية وكمورد اقتصادي بديل؟ وتعتبر الجزائر ذات موقع خصب لمثل هذه البحوث الأنثروبولوجية لما لها من تاريخ طويل والتي قدّمها مؤلفون استعماريون فرنسيون في الغالب كانوا ضباطا عسكريون، واستند عملي على المنهج الوصفي التحليلي ومراقبة المشاركين لعدة مهرجانات لتكملة ملاحظاتي وأدرجت التغطية الإخبارية في وصفي الإثنوغرافي.

1 - مفهوم السياحة الثقافية:

يعرّف الأنثروبولوجيون أنّ السياحة هي: "واحدة من فترات الراحة اللازمة من الحياة العادية التي تميز جميع المجتمعات البشرية وهي ضرورية للحفاظ على الصحة الجسدية"، والسائح هو: "شخص مسترخٍ مؤقتًا عندما يزور طوعًا مكانًا بعيدًا عن المنزل بغرض تجربة التغيير"⁴. ويشيرون كذلك أنّ "السياحة الثقافية الجديدة يجب أن تستند قبل كل شيء على ثلاثة عناصر أساسية: "التنوع والتفاعل والسياق". وجاءت مسألة التنوع في المرحلة الأولى لأنها تنطلق من مسألة كيف يمكن للمواقع استخدام الثقافة لخلق شعور

¹ مريم ن، السياحة الثقافية في الجزائر واقع وآفاق "التكامل أساس التفعيل"، انظر المقال على الشبكة الالكترونية: <https://www.djazairiss.com/elmassa/24309> تاريخ الولوج: 2020-07-06.

² الوعدة: هي طقس دوري سنوي تقيمه العديد من العشائر والقبائل المغاربية حول أضرحة الصلحاء والمرابطين خصوصاً المؤسسين لها. تجتمع بعض القبائل حول الضريح وتنصب الخيام وتذبح الذبائح وتقيم المآدب ويرافق ذلك ألعاب الخيالة.

³ Lorenzo Annie, Cheval et tradition en Afrique du nord, Lausanne: caracole, 1988, p103.

⁴ Denniso Nash, Valene.Smith, Anthropology and Tourism, annals of tourism research, Vol 18, 1991, p 12.

بالفضاء؟ كأنه يتم تجسيد مشاهد للفروسية التقليدية "الفانتازيا" في أماكن تاريخية أثرية وذلك لخلق نفس الصورة التي كانت سابقا. فتميز الفضاءات مهمة لمسألة التنوع، حيث أنه لا يعتمد التمييز فقط على المساحات المادية ولكن على استخدام تلك الفضاءات والطريقة التي يتفاعل بها الناس مع بعضهم البعض فيها. إضافة إلى العنصر الثالث المتمثل في السياق الذي تطرق إليه العديد من الباحثين، لاسيما فيما يتعلق بالأصالة واللامكنة. فالأصالة هي مفهوم يستخدم كثيرا نظريا ولكن يُساء استخدامه في مجال السياحة الثقافية. والمشكلة في الكثير من المناقشات حول الأصالة هي أنّ الناس يميلون إلى النظر إلى المعالم أو الأشياء، بينما يتجاهلون السياق الذي توجد فيه هذه المشاهد. هذا أمر مهم، لأنه إذا تجاهلنا السياقات المحلية التي تستهلك فيها الثقافة العالمية فإننا نواجه خطر رؤية التجانس والضعف في الأماكن التي يوجد فيها في الواقع زيادة التمايز والتميز والتعلق، ويتجلى ذلك في المناقشات التي دارت حول مفهوم "اللامكنة"، الذي يربطه الباحثون بالعملة وتجانس الثقافة كما يشير مارك أوجي "Marc Augé" حول إشكالية ظهور علاقات اجتماعية وثقافية جديدة حتى في أماكن الحركة والانتقال.

ويركز مفهوم التعامل مع الحركة بدلاً من الفئات الثقافية الثابتة الانتباه إلى الظواهر الثقافية المتغيرة باستمرار والتي هي في نفس الوقت هدف السياحة وأساس الثقافة السياحية نفسها. فيما يتعلق بالبحث في هذه الأخيرة ربما ينبغي أن نحول انتباهنا بعيداً عن مفاهيم الثقافة كمجموعة من "المنتجات" (المتاحف ومراكز التراث والأحداث) نحو مفهوم أكثر انسيابية للثقافة كعملية (الروابط بين الإنتاج والاستهلاك وعمليات تراكم رأس المال، وتكوين الهوية).

2 - خصائص السياحة الثقافية:

قام الباحثون الأنثروبولوجيون بالتطرق إلى الاختلافات بين "السكان المحليين" و "السائحين" التي بدأت تختفي بشكل متزايد، ويرجع ذلك أساساً إلى ارتباط الأفراد المتزايد بفضاءات الترفيه كشكل من أشكال الاستهلاك، والقيام بأدوار محددة فمثل هذه العلاقات الجديدة تثير إشكالية دور الفضاءات "اليومية". يبدو أن "فن السياحة اليومية هو مشاهدة الحياة اليومية بطرق جديدة. وهو ما يستخدمه السائح بالعثور على وجهات نظر جديدة يمكنه من خلالها التحديق في المدينة"¹. لكن العملة توفر وجهات نظر أخرى جديدة للسياح والسكان المحليين طوال الوقت. من خلال إعادة دمج الهياكل الثقافية والاجتماعية، حيث توفر لنا هذه العمليات منصات جديدة تمكن من خلالها رؤية المشهد السياحي ما بعد الحداثة. ورؤية الروابط التي لم تكن مرئية من قبل على سبيل المثال: يبدأ "السائح المحلي" برؤية المشهد الناشئ حديثاً للسياحة العالمية من خلال التنوع المتزايد للسياح أنفسهم. فالسياحة تكشف الطريقة التي يرتبط بها السكان الأصليون بذكرياتهم وتقاليدهم وقيمهم.

ويعتبر باحثون آخرون أنّ الفضاء المادي ليس مهم للسياحة الثقافية، بقدر ما هو التفاعل والسياق الإنساني للفضاء نفسه. لأنّ الثقافة العالمية تتحول في كل مكان عن طريق العمل البشري، وهي جزء لا يتجزأ من السياق المحلي. حيث يمكن الاستفادة من التفاعل والتفكير المحليين في توظيف المواد الخام للثقافة العالمية والمحلية بشكل خلاق، لصنع أشكال ثقافية ومجتمعات جديدة. هذه العناصر هي في صميم الجهود المبذولة للاحتفاظ "بالمكانة" في التنمية السياحية. وتميل مثل هذه التطورات الثقافية الجديدة إلى أن

¹Michel Picard, Cultural heritage and tourist capital: cultural tourism in bali, international tourism. Identity and change, m.f. Lanfant, j.b. Allcock & e.m. Bruner, eds., sage, london, 1995, p 44.

تصطف مع الأشكال الثقافية السابقة. فهذا ينشأ لدى الأفراد الشعور بالخسارة المرتبط عادة بالحنين إلى الماضي بسبب اختفاء القديم، وإعادة تشغيله عادة من خلال ظهور الجديد.

إنّ مفهوم السياحة الثقافية يتعدّد بشكل متزايد وسبب هذا التعقيد هو ما أنتجته العولمة كون المجال الثقافي سريع التغير مما أدى إلى تغيير طبيعة الطلب على السياحة. تعتمز مجموعة ATLAS للأبحاث السياحية الثقافية المضي قدماً في العديد من المبادرات البحثية الجديدة المقترحة، وتمت مناقشة العديد من خطوط البحث من قبل المجموعة، وأهمها: أنّه في ضوء آثار "التكتل" على السياحة الثقافية هناك حاجة متزايدة إلى إقامة روابط بين العالمية والمحلية ودراسة تدفق الناس، يمكن استكشاف الأمكنة للسياحة الثقافية من خلال دراسة الأحياء الثقافية والعرقية. وتشير الدراسات حول السياحة الثقافية في أفريقيا بالاشتراك مع مجموعة ATLAS Africa. أنّ الروابط الاستعمارية السابقة أثّرت تأثيراً عميقاً على أنماط السياحة الحالية.

3 - أصل السياحة وآثارها:

نشأت دراسة السياحة في الأنثروبولوجيا من القلق الذي جاء نتيجة الاتصال الثقافي والتغيير الذي مسّ الثقافة نتيجة العولمة، حيث قام الأنثروبولوجيون بتحقيقات حول تأثير الطرق الغربية على العالم الثالث¹، ويبدو أن هؤلاء العلماء والسياح لديهم الكثير من القواسم المشتركة. كلاهما يقضي الوقت في استكشاف المنتجات الثقافية وطقوس المجتمع، وكلاهما يحمل مكانة الغرباء، الحقيقة هي أن السياحة يمكن أن تكون سياق مثالي لدراسة قضايا الاقتصاد السياسي، والتغير الاجتماعي والتنمية، وإدارة الموارد الطبيعية، والهوية الثقافية، من هنا تناول علماء الأنثروبولوجيا دراسة السياحة وركزوا على فهم أصل السياحة وتحليل آثار السياحة. فالعديد من الدراسات حول أصل السياحة تميل للتركيز إلى السياح، وكثير من الأبحاث الموجهة في آثار السياحة تميل إلى تحليل السكان المحليين فقط.

وانطلق الباحثون من تساءل: لماذا يسافر الناس كسائحين في هذا العصر؟، أو لماذا يبحث بعض السياح عن اكتشاف الآخرين من أماكن مختلفة؟، ولماذا الأفراد والمجتمعات المحلية "المضيغة" تتفاعل مع السياحة بطرق معينة؟، أمّا الجانب الآخر عندما درس علماء الأنثروبولوجيا آثار السياحة، مالت أعمالهم للتركيز على السكان المحليين أكثر من السياح، حيث اعتمد العديد منهم على الإثنوغرافيا لمعرفة تأثيرات السياحة على المجتمعات المضيفة، فإلى غاية السبعينيات أظهر عدد قليل من العلماء اهتماماً أكاديمياً كبيراً بالسياحة. على الرغم من أنّ السياحة كانت ذات صلة بالشعوب والأماكن التي كان العديد من الأنثروبولوجيين يدرسونها، فهناك عوامل عديدة تجعل السياحة ذات صلة خاصة بالأنثروبولوجيا، حيث تحدث السياحة في معظم المجتمعات البشرية إذ لم نقل كلها فقليل منها، كما أن الأهمية الاقتصادية للسياحة تستحق اهتماماً باعتبارها "أكبر حركة للسلع والخدمات والأفراد" حيث أنّ إيرادات السياحة تمثل ثلث التجارة العالمية في الخدمات. ومن هنا نستنتج أنّ السياحة هي حافز كبير للتنمية الاقتصادية والتغير الاجتماعي والسياسي² والعمليات التي تعتبر أساسية لمصالح العديد من علماء الأنثروبولوجيا. وأيضاً جذبت السياحة انتباه هؤلاء

¹ عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 27.

² بن الزاوي عبد الرزاق، د. سميرة فرحات، التنمية السياحة والاستثمار السياحي في الجزائر: استراتيجيات طويلة المدى، المجلة الأورومتوسطية لاقتصاديات السياحة والفندقة، العدد 1، 2017، ص 78.

العلماء لأنها تبنى على لقاءات وجها لوجه بين الأشخاص (المبحوثين) من ثقافات مختلفة. أما عندما يجتمع السياح والسكان المحليون فإن لكليهما الفرصة لإلقاء نظرة في كيفية عيش الطرف الآخر. ولقد شهد هؤلاء العلماء بشكل مباشر التغييرات التي أحدثتها السياحة في حياتهم أثناء جولاتهم الميدانية. وقد استنتجوا أنّ المجتمعات المضيفة تميل إلى التغيير والتركيز على الجانب الاقتصادي حيث توفر لهم فرص العمل مما يؤدي إلى تعاملهم بمختلف العملات الصعبة، إذ يمكن أن تصير تقاليدهم وقيمهم المحلية إما لا معنى لها وإما أكثر أهمية مجرد أن تصير سلعة سياحية؛ ويمكن للسكان المحليين إما أن يتحملوا وطأة تدهور الموارد وإما أن يصيروا الرؤساء الأساسيين لحماية مواردهم. ونادراً ما يكون لدى آراء الأنثروبولوجيين حول آثار السياحة على المجتمعات المضيفة آراء إيجابية يقولون "إن السياح يخربون وجه المشهد الاجتماعي والثقافي".

أما البحث في أصل السياحة هو معرفة ما يجعل الشخص سائحاً؟ وماذا يحفز السياح على السفر؟ وما الذي يحدد أنواع الأماكن والتجارب؟ وما يبحث عنه السياح؟ وقد ركزت الاستفسارات حول تأثيرات السياحة بشكل عام على مجموعة من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والثقافية والبيئية. فالسائح هو شخص يزور أي مكان طوعاً ومؤقتاً ويكون بعيداً عن منزله، والغرض من ذلك التغيير، ومشاركة تجاربه مع الآخرين من خلال الصور الفوتوغرافية والهدايا التذكارية وتسمح لهم بإعادة تجميع الأجزاء المتباينة من حياتهم المجزأة. ويعتبر بعض من علماء الأنثروبولوجيا بأنّ السياحة هي نوع من ممارسة الطقوس التي تعكس قيم المجتمع الراسخة حول الصحة والحرية والطبيعة والتحسين الذاتي. وتظهر الطوطمية في الطقوس الحديثة للسياحة على الصفحات السياحية الإرشادية في مواقع الويب وعلى أسطح الهدايا التذكارية من خلال التقديس الجماعي، من هذه الطوطمية يمكن للسياح تعزيز اتصالهم ببعضهم البعض، ويمكن للسياحة أن توفر الحرية في استغلال الوقت الإلزامي للعمل؛ وللترفيه؛ والهروب من الأدوار الاجتماعية التقليدية؛ وحرية قضاء الوقت. مثل الأنشطة الطقسية الأخرى توجه المشاركين فيها إلى "مهلة خارج العمل الإلزامي". وبهذه الطريقة تعكس السياحة الحديثة "الهروب من شيء ما بدلاً من البحث عن شيء معين"، وهناك من يرون أنّ السياحة هي ظاهرة فوقية تعتمد على مجموعة من العوامل المادية، فالجتماع الياباني على سبيل المثال يجبر شعبه على تفضيل مشاهدة المعالم السياحية التراثية وتنظيمهم على شكل مجموعات كبيرة للزيارة مع توفير الوسائل الجماعية للتعريف بتراثهم وتقديسه وتحسين السياحة الداخلية. وتطرقوا أيضاً إلى العوامل التي تحفز السياح على السفر وأعطوا اهتماماً على فحص الظروف التي يعيش فيها الناس وكيف تصبح الوجهات المضيفة منخرطة في السياحة. وكشفوا أنه ليس بإمكان الأفراد أن يشاركوا في السياحة بالتساوي في أي وجهة مضيفة. قد يشارك بعض أعضاء المنطقة المحلية بشكل مباشر ويتفاعلون معها السياح على أساس منتظم كمرشدين؛ فنانين؛ أو حرفيين، بينما قد يفعل الآخرون المشاركة فقط وراء الكواليس، والعمل كموظفي دعم أو تجار جملة من الأطعمة واللوازم. ومن منظور اقتصادي سيختلف المضيفون المحليون أيضاً من حيث مقدار الوقت والطاقة الذي يستثمرونه في السياحة حيث سيعمل بعضهم بأجر دوام كامل، في حين أن الآخرين سيعقدون عملهم من حين لآخر أو كسب النقود فقط من خلال بيع البضائع.

4 - السياحة الثقافية والتنمية المستدامة: أي علاقة؟

رؤج الاقتصاديون للسياحة باعتبارها إستراتيجية مثالية للتنمية المستدامة. مؤلت الوكالات المتعددة الجنسيات البنية التحتية السياحية في العالم الثالث كوسيلة لزيادة أرباح العملات الأجنبية ورفع إجمالي الناتج القومي خاصة في ما يسمى بمناطق الصحراء

والبحر وكان ينظر إليها على أنها تمتلك إمكانيات نمو لا حدود لها، على الرغم من الآمال الكبيرة فإن السياحة "كجواز" لتنمية الاقتصاد الكلي لم تنجح كما هو مخطط لها فبدلاً من تخفيف الفقر يبدو أنها تُدخل أنواعاً جديدة من المشاكل الاجتماعية بما في ذلك أسواق العملات السوداء والمخدرات والترف، بالإضافة إلى ذلك ارتبطت السياحة بالاكتظاظ والتلوث وكلها أدت إلى تفاقم التدهور البيئي في غضون ذلك كانت أنواع البنية التحتية التي كانت الحكومات ووكالات المعونة تستثمر فيها ملاعب الغولف والفنادق الفاخرة كانت ميزانية التعليم واحتياجات الصحة والرعاية الاجتماعية للسكان المحليين ضئيلة أما الأرباح التي تستفيد منها من السياحة يتم سحبها إلى مجال الصناعة في البلدان المتقدمة، باختصار صارت السياحة طليعة الاستعمار الجديد على مستوى الاقتصاد المحلي¹، أظهرت الدراسات الإثنوغرافية أنّ المناطق المحلية "المضييفة" في العالم صار يتعامل سكانها بالعمل المأجور الذي يتم إدخاله من خلال السياحة حيث ترفع تكاليف المعيشة مثلاً في إسبانيا قد استبدل المضيفون المحليون عملهم في الزراعة بالعمل في السياحة ويتقاضون أجرهم من خلالها، وسكان جزر المحيط الهادي أوقفوا أنشطتهم المعتمدة سابقاً وصاروا يعتمدون على التعاملات الخارجية، فالسياحة ساهمت في زوال الزراعة في قرية جبلية صغيرة في فرنسا، حيث تم استخدام حيوانات الرعي أساساً في منحدرات التزج. ولم يكن تعطيل أنشطة الزراعة بالضرورة مشكلة في حد ذاتها، لكنها صارت مشكلة عند تدفق السياح وترك السكان بدون بدائل اقتصادية منها لإعالة أنفسهم. والمشكلة الثانية التي وجدها علماء الأنثروبولوجيا في التنمية التي تغذيها السياحة هي أنه يؤدي في كثير من الأحيان إلى زيادة توزيع الثروة في المجتمعات المضييفة، مما يؤدي في النهاية إلى تفاقم الصراع الاجتماعي. ويبدو أن السياحة تساهم في زيادة التقسيم الطبقي والاجتماعي في نظر هؤلاء العلماء، ويمكن أيضاً للسياحة أن تؤدي إلى نوع من "التبعية الثقافية" ويكسب المضيفون إلى المحليين فوائد اقتصادية ولكن فقط عندما يلبن احتياجات السياح "الغريب". فيحدث فقدان الهوية، في هذا السياق مع تحسن الاقتصاد المحلي يبدأ المضيفون في التصرف والتفكير مثل السياح لأنهم يرونهم متفوقين عليهم، وأنّ السياحة تؤثر على الهوية المحلية ووصف باحثين آخرين اللقاءات بين السياح والسكان المحليين بأنها "أحداث زائفة" تستند إلى ما يختار السياح أن يروا بدلاً من ما هو موجود حقاً. وأنّ السياح يمارسون السلطة من خلال الطريقة التي ينظرون بها إلى السكان المحليين، وكتب إيفانز بريتشارد « Pritchard Evans » عن امرأة أمريكية شعرت أنها يجب أن "تبدو هندية من أجل أن تكون مقبولة من قبل السياح الذين يتعاملون بالعملة الصعبة"، حيث جادل هؤلاء العلماء في أن التفاعلات بين المضيف والمضيف تميل إلى أن تكون غير متكافئة وأنّ الضيوف لهم اليد العليا في تحديد كيف يبدو المضيفون ويتصرفون ويشعرون بشكل عام، وأشار كذلك إلى أن الأكاديميين لحد كبير يتجاهلون موضوع كيف ينظر السكان المحليين إلى السياح (الغريب). ويشير كذلك أن الأمريكيين الأصليين يستخدمون في كثير من الأحيان الفكاهة القائمة على أساس عرقي للسخرية من السياح، حيث أنّ السكان المحليين يمكنهم جني المتعة من اللعب مع السياح الذين "يجهلون نسبياً للظروف المحلية وبالتالي في كثير من الأحيان تبدو قابلة للاستغلال بشكل بارز"². قد يكون السكان المحليون وكلاء نشطين في تحديد ما يريدون للحفاظ على التقاليد والفن الشعبي

¹Amanda Stronza, Anthropology of tourism: forging new ground for ecotourism and other alternatives, annu.rev, vol30, 2001, p261.

²Amanda Stronza, OP cit, p263.

من السياح، ولكنهم مدركون تمامًا لأنفسهم ما هو حقيقي أو مرحلي أو أصلي أو زائف. علم إيفانز بريشارد أن صائغي الفضة "الهنود" غالبًا ما يستخدمون الشخصيات التقليدية والرموز لخلق التأثير الجمالي المناسب لقطعها الفضية. ومن هنا نستنتج بأن السلوك يتعارض مع فكرة أن السكان المحليين هم ضحايا سلبيين، بأنهم غير مدركين لأنهم يفقدون أنفسهم وثقافتهم للسلع. فحتى في الحالات التي يغير فيها المضيفون المحليون جوانب هويتهم ليعيشوا لجذب السياح، قد لا يفقدوا بالضرورة ثقافتهم وعندهم القدرة على التحكم في أنفسهم ومعرفة ما هو زائف وما هو حقيقي. على العكس من ذلك، قد يشعر المضيفون المحليون بالسلطة من خلال التفاعل مع الغرباء لإعادة تعريف من هم؟ وما هي جوانب هويتهم التي يرغبون في تسليط الضوء عليها أو التقليل من شأنها، في خضم إحياء الماضي والاحتفال بالطقوس قد يدرك السكان المحليون تمامًا حقيقة أنهم يقدمون عروض ثقافية للسياح¹.

5 - فن الفانتازيا والسياسة الثقافية:

1 - مفهوم الفانتازيا وخصائصها:

فانتازيا "fantasia" كلمة لها معان كثيرة في الخيال، لا تمت للواقع بأي صلة. ولكن في شمال إفريقيا ترتبط بشكل لا ينفصم مع الفولكلور المغربي، الذي يشكل واحدًا من أجمل الموروثات الثقافية. وتعني "لعبة الفروسية" أو "لعبة البودرة"، وربما تأتي من الكلمة الإسبانية fantaisie. رغم أن كلمة فانتازيا غريبة على اللهجة المغربية العربية، «ولكن تم تكريسها على نطاق واسع جدًا باستخدام السياح، تم استخدامها باللغة الفرنسية منذ عام 1833، وهو التاريخ الذي عمد فيه أوجين ديلاكروا إلى رسم لوحة فنية للفرسان الراكضين مع البندقية ويقال أيضا "تبوريدة"، كونها مشتقة من أصل poudre بالفرنسية و powder بالإنجليزية أي مسحوق، ومن هنا نجد أن الفانتازيا حافظت على حيويتها القوية وشخصيتها الأكثر تقليدية. وتعتبر الفانتازيا نسخة غير مباشرة من الفروسية التقليدية والقديمة جدًا²، ومن خصائصها أنها تتكون من فرق فرسانية ولكل فرقة لها «قائد» يسمى (العلام أو المقدم بالدارجة الجزائرية)، إشارة البداية تنطلق الخيول المدربة في العدو دفعة واحدة بينما يردد الخيالة بعض الأهازيج التي تعبر عن أبحاد فرقته وبطولات منطقته، وحين الاقتراب من خط الوصول يستعد الخيالة لإطلاق البارود بشكل جماعي، فمعيار نجاح «حركة فرق الخيالة» هو سماع الجمهور لطلقات بارود الفرسان وكأنها طلقة واحدة، ومتى نجحت الفرقة في توقيع عرضها باستعراض يتناغم فيه أداء كل أعضاء الفرقة إلا وتعال هتافات تشجيع الجمهور وزغاريد النساء. فجمال وصعوبة الفانتازيا في التزامن أي شحن جميع الخيول معًا وإطلاق البنادق في وقت واحد، بحيث يتم سماع طلقة مدوية واحدة فقط بحيث تكون قابلة للمقارنة مع مدفع إطلاق النار.

2 - الفانتازيا مكونا للسياسة الثقافية:

¹Ibid, p283.

²M. Peyron, « fantasia », Encyclopedie Berbere, 18 | 1997, document f04, mis en ligne le 01 juin 2011, consulte le 19 avril 2020. Url: <http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere>

تعتبر الفانتازيا مكونا للسياحة الثقافية لأنها تكمن في تعزيزها وتدعيمها لما تحمله من رموز ودلالات ثقافية والتي غالباً ما تتحول إلى مصدر تمتين العصبية الوطنية فوجود الفارس والفرس يعتبران عاملاً في تحريك البنية المنسية من مفردات الذاكرة الجماعية وهما نموذج كبير لما يحملان من زخم ذاكراتي، وتكمن أيضاً الرمزية الثقافية للفانتازيا في إثبات الهوية الحضارية الجزائرية وتقوية الرابطة المجتمعية ونشر القيم الثقافية، فالفرس الضليع في ركوب الخيل يصبح محط الاهتمام لدرجة تجعله حافزاً للاحتذاء والاقتداء كالفرس الأمير عبد القادر باعتباره حاملاً لمشعل الشجاعة والعنفوان والإقدام والذي عرف بمحاربه للاحتلال الفرنسي وقاد مقاومة شعبية لخمسة عشر عاماً أثناء بدايات غزو فرنسا للجزائر، ويعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار. والحضارة العربية غنية بمثل هذه القيم ففي الحياة الجاهلية كانت تفرض القبيلة على رجالها تعلم أدب وفنون الفروسية، كما عرفت المجتمعات الأوربية أدب الفروسية وترسخت بشكل كبير في العصور الوسطى، وهذا ما يؤكد الحضور القوي للفرس في الحضارة الإنسانية، والعلاقة الراقية بين الإنسان والحصان، التي شكلت نظاماً اجتماعياً فريداً يتبوأ فيه الفارس قمة الهرم الاجتماعي ويضطلع بدور الدفاع عن شرف القبيلة وحماها، فالفانتازيا الحالية هي نسخة ممزوجة بالتراث الفروسية وهذا ما أشار إليه «جان بيار ديقار» أنها كانت تستعمل كنوع من التدريب العسكري للفرسان، بما يسمح لهم بتطوير مهاراتهم القتالية والرفع من قدراتهم الحربية، كما يسمح للقادة باكتشاف أمهر الفرسان وأشد المحاربين وأفضل الخيول، بالتالي التقييم الصحيح لقوة جيوشهم وجاهزيتهم، فيقول ابن خلدون في هذا الصدد "وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين: نوع بالزحف صفوفاً، ونوع بالكر والفر من خلال مراقبة الآخرين"¹، فالثقافة تجد حفراتها الدفينة في هذه العلاقة بالصراع الكوني الذي يميز التجارب البشرية ويفسر لماذا الثقافة في اللسان العربي تساق أوجه الحرب والعلوم والفنون والصنائع هي أيضاً بعض أوجه الصراع الكوني من أجل إثبات الذات أو التفوق على الغير²، وباعتبار أن الفانتازيا مكوناً للسياحة الثقافية كونها تجعل السائح يتعرف على ثقافة المغرب الكبير الممزوج بعدة حضارات، ونمط حياة أفرادهم وتاريخهم. بهدف جمع معلومات وخبرات جديدة لتلبية احتياجاته الثقافية المتمثلة في ترسيخ هويته الثقافية الخاصة، وهذا ما أشار إليه باحثين أن للسياحة الثقافية والتراثية يمكن أن تكون وسيلة للتعليم واستكشاف البيئة الخاصة بالأفراد، وأكد البحث الذي أجراه ATLAS والاتحاد الدولي للسفر للطلاب على أهمية الثقافة في تجارب سفر الشباب. وأشار "ما يقرب من 80 بالمائة من المسافرين الشباب من ثمانية بلدان مختلفة إلى أن تقديرهم وفهمهم للثقافات الأخرى قد زاد نتيجة لرحلتهم. قال أكثر من نصف المحليين أيضاً أن فهمهم لثقافتهم الخاصة قد ازداد"³، مما يشير إلى درجة من الانعكاسية حول العلاقة بين ثقافات المضيف والمضيف.

وتعتبر الفانتازيا الجزائرية أيضاً مكوناً للسياحة الثقافية في الجزائر من خلال فعاليات الوعدة حيث تقدم المداخل الدينية إلى جانب مشاركة شيوخ وأعيان العروش في إصلاح ذات البين وحل النزاعات والمشاكل القائمة بين العائلات والجيران. بالإضافة إلى القصص التراثية التي سردها عدد من شعراء الشعر الملحون، الذين استحضروا من خلالها العادات والتقاليد وكذا الشخصيات

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، مكتبة لبنان، بيروت، م1، ج1، 1992، ص40.

² محمد شوقي الزين، الثقافة في الأزمنة العجاف "فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب"، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013، ص37.

³ Michel Picard، OP cit, p66.

القديمة التي عاشت بها، وإقامة مأدبة غذاء جماعية تشارك فيها جميع العائلات المنتمة إلى الولي الصالح، ويعتبر طبق الكسكس رئيسي في هذه المأدبة، وما يميز هذه التظاهرة الحضور الجماهيري الكبير لمشاهدة الفانتازيا، رغم وجود لعب تقليدية أخرى، حيث يتم تحضير الخيول بالسروج والفارس بلباسه التقليدي، إذ يختلفون في طريقة مسك البندقية ولجام الحصان، ونوعية وجودة السروج، وغيرها من التمايزات الدقيقة، حيث تنافس الخيالة (الفرسان) في «علفات» (فرق خيالة) من مناطق مختلفة من الوطن في إظهار فنون الاستعراض بالخيول. تتمايز من حيث ألوان ملابس الفرسان وسروج الخيول. وتشكل الوعدة فرصة سنوية لبعث وترقية السياحة الثقافية بالجزائر، لأنها تسمح بالتعريف للسياح بعادات وتقاليد سكانها، مع مساهمتها في انتشار بعض الأنشطة التجارية المناسبة، على غرار بيع منتجات الصناعة التقليدية التي تشتهر بها الجزائر كصناعة الحلفاء والدوم والأواني الخشبية.

وتعتبر الفانتازيا المغربية نموذجاً ناجحاً للسياحة الثقافية في المغرب، فبعد استقلال المغرب في عام 1956 خصصت الحكومة المغربية المواسم وأنشأت مهرجانات موسيقية لتعزيز الهوية الوطنية، حيث شهدت المهرجانات والمواسم المغربية تغييرات في الهيكل والمكان. ويعتبر هذا جهداً لتأكيد التراث الرياضي المغربي على القيم العالمية من خلال الترشيد ضمن عملية "ابتكار التقاليد"، من خلال إشراك رؤساء المهرجانات ووزارة السياحة ووزارة الثقافة. يقول الأنثروبولوجيون أن مجموعات من الناس تخلق التراث في الغالب كرد فعل على تهديد العولمة، وأعتقد أن استخدام الفانتازيا كجزء من الهوية الوطنية يساعد في الحفاظ على هويتهم الخاصة، ولكن أيضاً يجذب السياحة التي ساعدت المغرب على النمو اقتصادياً في أعقاب العولمة، وفي المغرب كان إنشاء الصناعة السياحية حول الثقافة البربرية بمثابة رد فعل على الحاجة إلى العودة إلى أيام ما قبل الاستعمار، مما يجعل من الصعب فصلهم عن الثقافة البربرية فالرحلات إلى الصحراء على الجمال، والنوم في الخيام، كانت من المعالم المشتركة المغربية وتستمر اليوم في قطاع السياحة الثقافية الحديثة. يرى هويسباوم أن السبب الذي يدفع المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا في هذه الحالة إلى الاهتمام بفكرة التقاليد المخترعة هو أن هناك "أعراضاً مهمة وبالتالي مؤشرات على المشكلات للتطورات الاجتماعية الأكبر"، وأنه "يلقي ضوءاً كبيراً على العلاقة الإنسانية بالماضي، واستخدام التاريخ كمشروع للعمل وتعزيز تماسك المجموعة" ويبدو أن الفكرة تبرهن على أن ممارسة المغرب المتمثلة في عروض الفروسية في احتفالات الوعدة يرسم قضايا أكبر تتعلق ببناء هوية وطنية وهو استجابة لصدّ العولمة داخل المغرب. لا تساعد وجهة النظر هذه في التمييز بين "التقاليد المخترعة" والتقاليد الأخرى. ففي حالة المغرب يمكن لتقليد الفروسية المخترع أن ينذر بفكرة أن الذاكرة المغربية والتراث المغربي ما قبل الاستعمار أصيل وحقيقي، في حين أن المغرب ما بعد الاستعمار غير أصيل ومبتكر، وأن الثقافة ثابتة ولا تتغير في حين أن الثقافة في حالة تغير مستمر. ومع ذلك "يمكن القول بأن جميع التقاليد هي إلى حد ما مبنية اجتماعياً وبالتالي تم اختراعها" وليس التقاليد والأنشطة التي تشكل جزءاً من الحياة اليومية: الأنشطة الترفيهية، وممارسات العمل، والأحداث العائلية والاجتماعية، والمهرجانات المحلية. ويعتبر الترفيه والاهتمام بوقت الفراغ من العوامل الرئيسية في تحليل العلاقة بين الرياضة والتراث. فالنطاق الأكبر من أوقات الفراغ والأحداث المجتمعية يؤدي في الواقع إلى "الاختراعات" الوطنية للأحداث

الرياضية الكبيرة، في هذه الحالة يجب أن يأخذ هوبسباوم Hobsbawm هذا في الاعتبار عند فحص "التقاليد المبتكرة"¹. يمكن أن تتحول هذه الأنشطة الترفيهية أيضًا إلى عروض عامة. ومن هنا نفهم كيف تخلق الدولة المغربية التراث وكيف للأشخاص أن يصبحوا مشاركين بنشاط في الإنتاج المشترك للتراث كجزء من مشاركتهم في الرياضة واستهلاكهم لها، وهو أمر حيوي لاستكشاف كيفية مقاومة المغاربة أو المشاركة في إنتاج هذه الأشكال الرسمية للتراث، فالمواطنون بطبيعة الحال يخلقون هذا الحوار حول التراث ويعطون الشرعية. والمغاربة ليسوا فقط ناقلون للثقافة، بل هم أيضًا "وكلاء" في مشروع التراث نفسه. من خلال وجهة نظر تيرنر للأداء الدرامي للتراث في مكان آخر يكون الناس فيه "الممثلين في الدراما الاجتماعية"، يمكننا الإشارة إلى المجموعات التي تؤدي دور فرق من الفرسان، والتي تشبههم بمجموعة من الممثلين في مسرحية أو أداء مسرحي، ما لا تفسره بروتوكولات التراث بشكل عام هو "موضوع انعكاسي واعى"². في حالة الرياضة والمهرجانات فإن عرض الفانتازيا المغربي هو مورد ثقافي حي ومتغير وحيوي، مع تكييف هذا "التقليد المبتكر" واعتماده على معاني جديدة، فإنه يصير أيضًا منتدى منعكسًا للفرسان، ذكورًا أو إناثًا. قد يتعرف الفارس على نفسه بشكل أفضل من خلال التمثيل أو قد يتعرف مجموعة واحدة من البشر على أنفسهم بشكل أفضل من خلال المراقبة و / أو المشاركة في العروض التي تم إنشاؤها وتقديمها من قبل مجموعة أخرى من البشر". يفيد هذا الأداء المشاركين وأولئك الذين يراقبونه على أنه محلي أو السياح الأجانب، إذ لم تتطور الفانتازيا فقط لأنها ذات أهمية راسخة لدى المغاربة، ولكنها تعمل أيضًا كرمز للهوية الوطنية من خلال السياحة. الفانتازيا ليست تقليدًا ثابتًا وغير متغير، ولكنه تقليد يتطور باستمرار داخل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الواسعة التي تحدث في المجتمعات الحديثة. اليوم في الفانتازيا المغربية يتم نصب خيام كبيرة لمجموعات الفرسان، وتزين الخيول بسروج زخرفية ملونة، فتصميم الخيمة استخدمها المغاربة منذ قرون خلال تاريخهم في البدو مما جعل السياحة المحلية تصبح سياحة دولية، حيث يكسب مالكو الخيول الذين لديهم خيول الفانتازيا والخيول البربرية المال من خلال ركوب الأطفال والسياح المحليين وأخذ الصور مع الخيول المغربية الشهيرة. تقام هذه الأحداث في الأماكن العامة الكبيرة مثل ميدان الهدسم في مكناس، وساحة جامع الفنا في مراكش، أو على طول الشواطئ الساحلية، حيث تقدم للسائحين جولات وصورًا مع الحصان المغربي الشهير بالسروج التقليدية. أما البطاقات البريدية للسياح شائعة في معظم مدن المغرب. تقدم أربعة أو خمسة مشاهد مختلفة للفانتازيا في المحلات، أو الأماكن العامة.

خاتمة:

من خلال كل ما تقدم بيانه في مختلف عناصر هذه الدراسة من ناحية، ومن باب الإجابة على السؤال المركزي الذي طرحناه في المقدمة من ناحية ثانية؛ يمكننا القول أن الفانتازيا الجزائرية لم تستغل كسياحة ثقافية ولم ترق إلى العالمية ولم تصنف ضمن لائحة التراث اللامادي من قبل منظمة اليونسكو. ومع تقدم الجزائر نحو أضواء العولمة يتناقص الطلب على سياحة التراث

¹ Talley, Gwyneth Ursula Jean, Fantasia: Performing Traditional Equestrianism as Heritage Tourism in Morocco, A thesis submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree of Master of Arts in Anthropology, UNIVERSITY OF CALIFORNIA Los Angeles, 2015, p18.

² Talley, Gwyneth Ursula Jean, op cit, p20.

الرياضي. إذ تقتصر السياحة للفانتازيا الجزائرية في مواقع التواصل الاجتماعي فايسبوك فقط لإلتقاء فرق الفروسية من كل أنحاء الوطن في طقس الوعدة، وفي مهرجانات وطنية، ويعود ذلك لأسباب ذهنية واقتصادية بالدرجة الأولى.

يجب أن تتوفر إرادة سياسية حقيقية للتفكير في نقل هذا التراث من المحلي إلى الدولي وأن تتم في الأماكن التاريخية وكذا تدعيم مؤسسات الفروسية وإشراكها في مجال السياحة، وعلى هذا الأساس وجب العودة إلى المخطط الوطني لتهيئة الإقليم (SNAT) لآفاق 2030 الذي حمل بؤادر برنامج عمل مشترك لما تمّ تسميته (أقطاب اقتصاد التراث). لتطبيق ما ورد فيه من أجل حماية وتأمين التراث الثقافي وجعله عاملاً للتنمية المستدامة للمدن وتفعيل جاذبية الأقاليم مما يجعلها قبلة سياحية تتحول إلى مورد اقتصادي بديل عن البترول. كلّ هذا عن طريق سياسة سياحية ثقافية تشاركية وتكاملية ما بين جميع القطاعات بصفة براغماتية ودقيقة تقتضي إحداث حذر وبقظة مع الممارسات القديمة للتخطيط الممركز البيروقراطي، يجب أن تقوم هذه الإستراتيجية بتنفيذ مسار إجمالي ومترايط ينطلق بالجرّد مروراً بالتصنيف والاسترجاع وينتهي بالتّرقية والتّأمين، فالسياحة الثقافية هي رهان هويّة وتحديّ إقليم.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. محمد شوقي الزين، الثقافة في الأزمنة العجاف " فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب"، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2013.
2. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، مكتبة لبنان، بيروت، م1، ج1، 1992.
3. عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

المقالات:

1. بن الزاوي عبد الرزاق، سميرة فرحات، التنمية السياحة والاستثمار السياحي في الجزائر: استراتيجية طويلة المدى، المجلة الأوروبية لدراسات الاقتصاديات السياحية والفندقية، العدد 1، 2017.

المواقع الإلكترونية:

- مريم ن، السياحة الثقافية في الجزائر واقع وآفاق "التكامل أساس التفعيل"، انظر المقال على الشبكة الالكترونية: <https://www.djazairiess.com/elmassa/24309> تاريخ الولوج: 2020-07-06.

M. Peyron, « fantasia », Encyclopedie Berbere, 18 | 1997, document f04, mis en ligne . Url : <http://journals.openedition.org/encyclopedie-berbere> consulte le: 19 avril 2020.

الكتب الأجنبية:

1. Amanda Stronza, Anthropology of tourism: forging new ground for ecotourism and other alternatives, annu.rev. California, vol. 30, 2001.
2. Denniso .Nash, Valene.Smith, Anthropology and Tourism, annals of tourism research, Vol 18, 1991.
3. Lorenzo Annie, Cheval et tradition en Afrique du nord, Lausanne: caracole, 1988.

4. Michel Picard, Cultural heritage and tourist capital: cultural tourism in bali, international tourism. Identity and change, m.f. Lanfant, j.b. Allcock & e.m. Bruner, eds., sage, london, 1995.

5. Talley, Gwyneth Ursula Jean, Fantasia: Performing Traditional Equestrianism as Heritage Tourism in Morocco, A thesis submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree of Master of Arts in Anthropology, UNIVERSITY OF CALIFORNIA Los Angeles, 2015.